حسن محسب

آسفة .. أرفض الطلاق

مكتبة غريب

أسـفة ·· أنا ارفض الطلاق

آسفة .. أرفض الطلاق !

– تزوجت مديحة .. ونادر .. بعد قصة حب طويلة .. وبعد تضحيات كثيرة من مديحة .. ويثمر زواجهما طفلين «ولد وبنت» .. وتفرح مديحة بإنجاب الولد والبنت .. لأن وجودهما سيزيد من روابط الحب بينها وبين نادر .. لكنها فى يوم احتفالها بعيد زواجها تفاجأ بزوجها نادر ، يعلن لها بقسوة :

– «لازم ننفصل عن بعض . لازم نتطلق» ! ..

– وتصدم مديحة .. وتكاد تجن . لكنها تتماسك . وتحاول إقناع نفسها إن نادر يمزح .. «بيهزر» .. فتضحك وتقول له : «دى أحلى نكتة سمعتها منك يا نادر ..» .. لكن زوجها نادر يؤكد بمنتهى القسوة :

– «دى مش نكتة . دى حقيقة . لازم نسيب بعض حالا ..» ! ..

– وبصعوبة تمالك مديحة أعصابها . وتحاول السيطرة على الموقف .. وتسأله :

– أقدر أعرف .. ليه ؟! .. عاوز تسيب بيتك وأولادك علشان إيه ؟! ..

– ويعترف لها نادر .. يعترف بأنه يحب امرأة أخرى .. وأنه حاول أن ينسى هذه المرأة .. لكنه فشل .. لأنه كان يحبها منذ كان شابا صغيرا مراهقا وكان جارا لها .. وكان يحلم بالزواج منها بعد الجامعة لكن .. وهما فى ثانوى .. زوجها أهلها من سائح عربى .. باعوها بالمال الكثير .. وحرم هو منها .. بعد سفرها مع زوجها العربى لكنه لم ينس حبها .. وأكثر من ذلك .. ظل يراسلها ويحاول إقناعها بالعودة والطلاق من زوجها الثرى ، وعرف أنها تعانى وتقاسى فى غربتها مع زوجها هناك .. وأنها عاجزة عن الهروب أو العودة .. و .. يحاول نادر أن ينساها .. لكنه كان واهما ..

– وتقاطعه مديحة ، فى عنف : أمال اتجوزتنى ليه ؟ .. وحبك ليه كل السنين دى .. كان إيه ؟ .. تمثيلية ؟! .. ثم إن لكل إنسان ماضى وميصحش الماضى يقضى على الحاضر .. أبدا . ولازم تكون إنسان ناضج وتبطل شغل المراهقين .

ـ وبنفس الصراحة ، يعترف نادر لزوجته : « لما عرفتك وحبيتك . . افتكرت أن حبي الأول خلاص . . انتهى . . لكن للأسف .. أول ما شفتها من شهرين لقيت حبها زى المجنون جوايا .. اتعلقت بيها .. ومش ممكن أسيبها بعد كده .. لأنها خلاص رافعة قضية علشان تتطلق من جوزها اللى اشتراها بفلوسه.. وحاتجوزها ..

ـ صاحت مديحة فيه : يا أخى أنت إيه ؟ .. طب احترم أن لك ولد وبنت . . احترم الليالى اللى سهرتها علشانك . . احترم العذاب اللى اتعذبته علشان تنجح فى الجامعة .. وتبقى الباشمهندس الكبير .. احترم أنى صممت اتجوزك رغم معارضة أسرتى ..

ـ ويصارحها زوجها نادر : كل ده أنا بحترمه فعلا . وباحترم كمان أنك ضحيتى بمركز أسرتك ووضعكم الاجتماعى الكبير وأصريتى تتجوزينى مع أنى من عيلة أفقر من عيلتك .. وعلشان كده أنا مش قادر أخونك . مش قادر اخدعك . فكرت فعلا أخبى عليكى .. أحبها واتجوزها .. وأخبى عليكى.. لقيت نفسى مش قادر أخدعك . مش قادر لأنى عارف قد إيه إنتى بتحبينى .

— تقترب منه مديحة ، وقد أثار نادر شفقتها .. وتسأله :

— أكيد دى نزوة .. مجرد نزوة .. أو رغبة مكبوتة .. مش كده .

— لكن نادر يفاجىء زوجته مديحة .. بقوله : «أبدا .. أنا عاوز أتجوزها .. وأعيش معاها هيه .

تسأله مديحة بغضب :

— ليه ؟ .. علشان إيه ؟ .. هى أحلى منى ؟ .. بتحبك أكتر منى ؟ .. فيها إيه أحسن منى ومن بيتى وأولادنا ؟ ..

— نادر يواصل اعترافه : «هى مش أحلى منك . ومش ممكن تحبنى أكتر منك ..

— تسأله مديحة : أمال عاوز تسبنى علشانها ليه ؟ ..

— ويصارحها نادر : «لأنى زهقت من حبك ليه . زهقت من حياتى هنا .. ولازم أسيبك .. وإلا اضطريت أخونك» .

— مديحة تغضب : خونى يا أخى .. جرب الخيانة .. جرب الطيش بتاعك ده .. نزوة وتعدى .. وبعدين حتفوق وحتندم وتعرف أن أنا وبيتى وأولادى .. منستاهلش منك كل الغدر ده ؟ »

— نادر يبكى ويقول : مقدرش أخونك .. مش ممكن .. ومن فضلك لازم توافقى على الانفصال .. بهدوء .. علشان الأولاد ..

— مديحة تفاجىء نادر بقولها : وأنا آسفة جداً .. مش موافقة على الطلاق .

ويقول نادر أن الطلاق من حقه لأن العصمة بيده هو .. وكان ميصحش واحدة ست محترمة ترفض بالشكل ده .. علشان تحافظ على كرامتها ..

— مديحة تثور .. وتقول : كرامتى إنى أحافظ على بيتى وأولادى وزوجى .. كرامتى هى أنك تفضل هنا مدام مفيش سبب للطلاق ..

— نادر يندهش .. وبينه وبين نفسه يفرح لتمسك مديحة به .. لكنه يقول : الحقيقة فيه سبب للطلاق .

— مديحة : أقدر اعرفه ؟ ..

— نادر يقول :

— كل اللى قلته من شوية .. وأكرره .. وهو : أنى زهقت من حبك وخوفك عليه وزهقت من البيت ده .. فيه

جمال زيادة عن اللزوم .. وفيه حنان أكتر من اللازم .. وفيه حب زيادة عن طاقتى .. عاوز أتحرر عاوز أعيش على حريتى ..

— مديحة تندهش من كلام زوجها .. وتقول :

— سبب غريب جداً ..

— نادر : هو ده السبب .. هو ده شعورى .. وعلشان كده لازم نتطلق .. ولازم نتفق على الطلاق بهدوء ..

مديحة تقول : مستحيل . أنا مش حوافق .

— نادر وهو يخرج : إذن أنا مضطر أمشى فى إجراءات الطلاق .. بعد إذنك . ويخرج .

— مديحة تنهار على مقعدها فى حزن رهيب .. إنها لاتصدق أن ما حدث قد حدث . تظن أنها فى كابوس . دموعها على وجهها فى صمت مجنون ولا شىء يواسيها .. حتى الشموع التى تنطفىء ببطء فى تورطة عيد الزواج تزيد من حزنها .. والاضاءة الشاعرية .. والشراب المنعش الذى كانت قد أعدته لنادر .. والزينة الساحرة التى جملت بها الشقة كلها .. كل شىء حولها يزيد من حزنها . . ويذكرها بقصة حبها لنادر . . وتضحياتها من أجله وتتذكر كل شىء .. يوم عرفت نادر ..

***

— كانت مديحة تقوم بعملها ، مدرسة فى مدرسة خاصة للأطفال .. كانت تلهو وتلعب مع تلاميذها الصغار .. كانت سعيدة ومرحة . . وكانت الأزهار تغار من جمالها وهى أجمل من كل الورود فى حديقة المدرسة .. عندما رأت نادر .. أثار اهتمامها .. كان نادر يقف أمام مديحة فتجرى إليه طفلة صغيرة . . قال أنها ابنة أخته وأنه جاء ليصحبها إلى البيت . . لأن أمها — أخته — اضطرت للسفر للاسكندرية فى مأمورية عاجلة تبع عملها فى إدارة البحوث .. « وحيث إن أخته وزوج أخته يعملان معا فقد سافرا معا ليصحبا وفدا أجنبيا فى مهمة عمل عاجلة — وأنه — نادر — قد جاء ليصحب « منى » ابنة أخته إلى بيت العيلة لأنه لا أحد فى مسكن أخته الآن . .

— تكررت زيارة نادر إلى المدرسة بحجة السؤال عن «منى» ابنة أخته .. والحقيقة أنه صار مشدوداً إلى مديحة .. إلى صوتها .. إلى عينيها .. إلى حنانها .. إلى حبها .. وجد نفسه يدعوها إلى فنجان شاى فى كافيتريا قريبة من المدرسة .. صارحها بأنه فوجىء بقبولها دعوته . . صارحته مديحة بآرائها الشخصية . . وهى : أنها تثق بنفسها .. وتعرف الصواب من الخطأ . . وتعرف كيف تحمى نفسها و ...

– نكرر لقاء مديحة ونادر .. مرة فى الكافيتريا .. مرة فى حديقة الحيوانات .. مرات فى الملاهى .. مرة فى قارب النيل .. وعند الهرم .. وفى متحف الشمع بحلوان مع رحلة للمدرسة ..

– اعترف لها نادر بمشاكله.. إنه ما زال فى الجامعة .. ويعانى من مشاكل مالية..أسرته محدودة الدخل... إخوته كثير .. والده متزوج من زوجة أخرى يعيش معها . . وينسى نادر وإخوته فى المصاريف .. ولذلك فهو يعمل نصف اليوم فى بعض المحلات ليوفر دخلا ماليا يساعد به أسرته ويعلم إخوته .. إلخ ..

– مديحة تزداد احتراما لنادر . . تحاول أن تساعده بشتى الوسائل . . اقترحت عليه أن يعمل فى أحد مصانع والدها . . رفض نادر فى البداية .. لكنها شجعته وبالفعل تستطيع مديحة أن تقنع والدها « الثرى جدا » باعطاء فرصة عمل لنادر فى مصانعه..

–وبالفعل يتسلم نادر عمله .. مجرد مساعد صغير مبتدىء لبعض المهندسين .. بمرتب معقول ..

– ويكافح نادر فى عمله .. وتساعده مديحة فى نقل المحاضرات له .. وتوصى والدها به ، وتطالب له بترقيات فى عمله . .

– ويطلب نادر من مديحة أن توافق على الزواج منه . . فتوافق .. لأن شخصية نادر– كشاب مكافح وذكى وطموح –

أعجبتها ، ولأنها كانت قدصدمت من قبل فى تجربةحب فاشلة .. حيث سافر حبيبها فى بعثة إلى أمريكا ولم يعد .. بل وأرسل لهـا أنه تزوج من زميلته فى الجامعة هناك .. وأخذ يعتذر لها ..

– وقد وجدت مديحةفى نادركل ما تحلم به فى شريك حياتها.. ما عدا الثراء .. وأكيد سيرفض والدها وإخوتها .. لأن وضعهم الاجتماعى أكبر بكثير من وضع نادر وأسرته المتواضعة ماليا . . وإن كانت أخته من العلماء ، وشقيقه طبيب – أو فى نهائى طب .. كما أنه – نادر – فى نهائى كلية العلوم قسم الجيولوجيا .. وينتظره مستقبل كبير فى شركات البترول .. و ..

– بالفعل يرفض والد مديحة فكرة الزواج من نادر : :

– لكن مديحه تصمم على الزواج منه ..

– والدها يحسم الأمر بقوله : على العموم ده مستقبلك وانتى حرة فيه وكفاية إنى علمتك فى أرقى الجامعات .. وربيت عقلك كما يجب وبعد كده..لازم تفكرى كويس علشان تختارى الشخص المناسب لك .. حتى لا تندمى بعد ذلك ..

– و .. تلجأ مديحة إلى شقيقها الدكتور مصطفى .. الذى يمتاز بالطيبة والمرونة .. ويساعدها فى الزواج من نادر . . كما يساعد نادر فى الحصول على وظيفة محترمة فى إحدى شركات البترول ..

– وينجح نادر في عمله .. ويصبح أحد خبراء التحاليل ومستشارا لعدد من الشركات .. وعضوا بعدد من اللجان .. ويزداد نجاحه .. ومديحة تساعده وتقف بجواره ليحقق كل طموحه .. وهي تتفاخر به .. وتتباهى بنجاحه .. وتسعى لكي يرضى عنه والدها حتى يتم ذلك فعلا ويبارك والدها زواجهما ويعرض وظيفة كبرى على نادر في إحدى شركاته ... ثم ..

– تستعد مديحة لعيد زواجها من نادر .. وتعلق الزينات وتوزع الإضاءة الشاعرية في أركان المسكن .. وهي تحلم بحفل شاعري في ذكرى زواجهما .. ثم ..

– تفاجأ بقرار نادر .. وطلبه الانفصال عنها ! ..

* * *

– تمر أيام .. ونادر غائب عن البيت .. مديحة لا تراه .. الطفلان يسألان عنه .. ازداد اضطراب مديحة .. وكثر غيابها عن عملها في مدرسة الأطفال ..

– بحثت عن نادر .. اتصلت به في عمله .. أنكر نفسه مرتين ..

– وذهبت مديحه إلى نادر في عمله .. ولم تجده .. ! بحثت عنه من مكان إلى مكان حتى عثرت عليه خارجا من اجتماع إحدى

اللجان .. صحبته فى صمت إلى سيارتها .. رفض الركوب معها .. قال : عربيتى معايا ..

– ابتلعت مديحه كل الآلام .. حاولت أن تبتسم .. قالت :

– لازم تشرب الشاى معايا .. علشان نتفاهم .

– لكن نادر قال : كل اللى انتى عوزاه .. أنا تحت أمرك .. حسيب لك الشقه باللى فيها . . وحضانة الولد والبنت . . ومرتبى كله تحت أمرك ..

– مديحة تجذبه من يده بعنف ليجلس إلى جوارها فى السيارة.. وهى تقول :

– فيه حاجة بينا أهم من كل ده .. فيه حبنا . ولغاية دى الوقت أنا شارية حبنا .. وباقية على عشرة العمر بينا .. وهو ده واجبى وواجب كل زوجة بتحب زوجها ..

حاول نادر أن يقنع مديحه بالموافقه على الطلاق . . لكنها رفضت .. وهى تقول :

– اثبت أنى قصرت ولو مرة واحدة فى حقك .. اثبت ولو مرة واحدة انى مش بحبك .. اقنعنى بأنك لازم تطلقنى وأنا أوافق.

– نادر يصارحها : يبقى لازم أروح لباباك .. واخواتك .. لازم أقول لهم ..

– مديحة تثور عليه : هو كان بابا والا أسرتى وافقو على جوازى منك .. ؟!

– نادر يفهم قصدها .. فيعترف : أنا فاكر كويس كل اللى عملتيه علشانى وباحترم جدا تضحياتك علشانى ومساعدتك ليه .. لكن .. أنا حبيت واحده غيرك .. أعمل إيه ؟ ..

– مديحه تقول : يبقى لازم أفوقك .. لازم تفوق لنفسك !..

– نادر يتركها منصرفاً وهو يقول : بعد إذنك حاعرض الموضوع على أسرتك .

* * *

– أسرة مديحة تثور عليها .. والدها يطلب منها أن تحافظ على كرامتها وكرامة العيلة وتوافق على الطلاق بهدوء ..

– لكن مديحة ترفض .. وهى تكرر : «كرامتى هى أنى أحافظ على بيتى وزوجى .. لأنى مش غلطانه».

– والد مديحه يقول لها : كل زوجة بتوافق وهى ساكتة علشان كرامتها .. والا انتى عاوزه الناس يقولوا إيه ؟ .. بتجرى وراه .. ليـــه ؟ ..

– مديحه تقول : لأنه جوزى .. أبو ولادى .. وعشرة عمرنا يا بابا ..

والدها يثور عليها : دى قلةأدب . فضيحة .. بنتى أنابتجرى ورا جوزها علشان ميطلقهاش.. دى مسخرة ! ..

ـ لكن مديحة تعلن لوالدها : بعد إذن حضرتك يا بابا . . أنا حاعمل كل حاجة فى الدنيا علشان أحافظ على زوجى . . لأنه كان طول عمره معايا زوج نظيف . . وأنا كنت حاسه بحبه . . ولسه بحبه يا بابا ..

***

مديحة مع نادر ، وهى تعرض عليه عرضا غريباً :

ـ إذا كان حبك للست التانية دى شاغلك بصحيح .. خليك معاها لغاية ما تشبع منها .. وبعدين ارجع لبيتك وولادك ..

لكن نادر يقول : أنا لا أقبل أبدا أن أخونك . . مقدرش أخون حبك ليه . . أنا عارف قد ايه حبك كبير . . ومش ممكن أخونك .

تصرخ مديحة : أمال ليه عاوز تطلقنى ..

نادر يكرر : لأنى بحب الست التانية .. ومحبش أخونك معاها..

مديحة تصرخ : وطلاقنا يكون اسمه إيه إذا مكنش منتهى الخيانة . .

– نادر يطلب من مديحة أن تبتعد عن طريقه وألا تحرجه بعد ذلك لأنه على وشك الزواج من المرأة الأخرى .. و .

– لـكن مديحة ترفض أن تترك . . فيشكوها نادر لأسرتها ولشقيقها الطبيب الذى يدخل معها فى مناقشة صريحة حول كرامة الزوجة .. وحقوق المرأة .. ولـكن مديحة تقول :

– ليه من حق الراجل إنه يطلق وقت ما يحب . ليه ؟ ..

وليه نسيب أى راجل يكون أنانى .. يجرى ورا نزوة مجنونة ويحطم بيته ويهد أحلام الزوجة .. وييتم أطفاله .. ليه ؟!

– والد مديحه ايتهمها بأنها تفرط فى كرامتها ، وكرامة أسرتها وأنها تهين نفسها وسمعتها .

– لـكن مديحه تثور عليهم جميعاً .. وهى تقول : الإهانة الوحيدة لى ولأطفالى وحياتى وأسرتى هى إنى أسيب زوجى ماشى وراء نزواته المجنونه .. وتقول مديحه: لو أن كل زوجه رفضت الطلاق وصممت على موقفها مدام تصرفاتها شريفة ، كان كل زوج فاق لنفسه وراجع روحه وحافظ على بيته وأولاده :

– مديحه تعلن لأسرتها ولـكل من ينصحها بترك نادر لحاله تعلن لهم ، أنها ستعيد نادر إلى أطفاله .. وبيته .. لأن كرامتها

وشرفها وحلمها وكل شيء فى الدنيا هو أن تحافظ على بيت الزوجية قويا سليما فى ظل زوجها الذى يحبها وتحبه .

ـ لكن نادر يرسل لها قسيمة الطلاق !.. ومعها شيك بمبلغ ضخم للأولاد .

***

ـ مديحة تفاجىء أسرتها ، وتفاجىء نادر د. بأن ترفع قضية أمام المحكمة تطالب فيها برفض هذا الطلاق .

ـ القاضى يناقش القضية ـ الغريبة ـ من نواحيها الشرعية ثم يرفض القضية.. لكن بعد أن تكون هذه القضية أحدثت فرقعة فى المجتمع ..بعد أن تلقفتها الصحف ورسامو الكاريكاتير وتحدث عنها المفكرون ، وأعدت عنها برامج فى الإذاعة والتليفزيون :: وكانت البداية : حملة صحفيه ساخره تحت عنوان ، زوجة تطلب زوجها فى بيت الطاعة !!

ـ مديحة لاتيأس . تذهب إلى لقاء شيخ الأزهر وبعض المفكرين فى بعض البرامج التليفزيونية .. ويقول البعض :

ـ إن الشرع مع الزوج لأن العصمة بيده .. ومن حقه الطلاق مادام سيدفع مايلزمه به القانون لحماية ورعاية الأسرة :

ـ لكن مديحه تقول : أى شرع هذا ؟.. وهل من شرع الله

أن تتركوا أى رجل يهدم البيت فوق دماغ زوجته وأولاده بدون أى سبب ..! وبدون أى ذنب.. الشرع هو اللى لازم يدينى الحق فى حماية بيتى . حاكمونى .. حققوا معايا .. إذا كان حصل منى أى غلط أو أى تقصير منى نحو زوجى أو حقوقه..ابقوا اشنقونى وإذا كان محصلش منى تقصير أو إهمال أو انحراف أو ذنب .. يبقى لازم تغيروا قوانينكم .. ولازم شرع الله نحترمه كلنا .. وشرع الله هو الحفاظ على الحياة الزوجية ضد أى نزوة للزوج أو الزوجة.

– الحملات الصحفية .. والبرامج الإذاعية والتليفزيونية ورسومات الكاريكاتير مستمرة حول القضية .

– ومديحة .. تحاصرها الآراء من كل اتجاه .. البعض يسخر منها ويتهمها بأنها تفرط فى كرامتها ، والبعض الآخر يشجعها ويؤيدها فى آرائها .. وأسرتها تواجه مشاكل رهيبة .

– والد مديحة يطلب منها الكف عن هذا الكلام الفارغ « ويعطيها تذكرة طيارة للسفر إلى أوربا لراحة أعصابها ، ولأن شركاته فى خطر » .

شقيقها مصطفى الطبيب ..يكشف عليها .. وينصحها بالراحة.

– طفلاها يسألانها : هما بيصورونا فى التليفزيون ليه .

– نادر يواجه مشاكل فى عمله .. ويؤجل زواجه من المرأة

الأخرى لأن أسرتها غضبت من الضجة التى أثارتها مديحة حول زواجها من نادر فى الصحف .

— نادر يحاول التفاهم مع مديحه : « خذى كل شىء .. واسكتى خلينا نعيش بهدوء .. لأنى خلاص طلقتك .. والقضية اللى انتى رفعتيها ممنهاش فايده .

— مديحه تسأله : بتحبنى ولا بتكرهنى .. هذا هو السؤال ؟

— نادر يعترف : حفضل طول عمرى بحبك .. لكن كفاية فضايح وخلينى أعيش حياتى زى ماأنا عاوز .

— مديحه تقول : آسفه جداً . لازم تفوق أنت واللى زيك من الأزواج الأنانيين .

— مديحه تستأنف القضية .. أمام المحاكم .

— الحملة الصحفية مستمرة .. وبرامج الإذاعة والتليفزيون.

— بعض المحامين يتطوعون للدفاع فى صف مديحه .

— بعض المفكرين يؤيدون وجهة نظر مديحه . ويقولون : من حق الزوجة أن تتظلم من الطلاق .

— فى جلسة الاستئناف . تثير مديحه أكبر ضجة فى المجتمع إنها تتحدث . فتقول :

— مديحه : « أيها السادة.. بعض الصحف تتهمنى بالتحرر وتقليد نساء أوربا وإنى جاهلة بالشريعة الإسلامية .. طيب إيه رأيكم تسمعوا معايا الرأى الذى قاله فضيلة الشيخ الشعراوى فى كتابه «الاسلام حضارة وحداثه » فى باب « الاسلام يؤمن حياة المرأة :

— إن الشيخ الشعراوى يقول : « صفحة ١٥٠ » — الاسلام يؤمن حياة المرأة . لماذا ؟! . لأن الانسان المتزوج امرأة . وهذه المرأة تعرضت فى خدمة زوجها وأولادها إلى متاعب الولادة والرضاع والخدمة فى بيتها ، وأثر الزمن فى شكلها ونضارتها ثم، إذا خرج الرجل . زوجها . إلى الشارع فيرى فتاة فى مقتبل العمر فيجدها على أحسن ماتكون من الزينة وأحسن ماتكون من الشباب . ماذا يكون موقفه..هذا الزوج.حين يراها ستلهب غرائزه بعد ماكانت غرائزه عادية مع أهله وعندما يعود إلى زوجته سيبدأ فى المقارنة . وهذه المسألة تؤدى إلى فساد أغلب البيوت . والاسلام يمنع المرأة أن تفسد حياة غيرها . ويمنع الرجل أن ينقاد وراء غرائزه حتى لايفسد حياته وحياة بيته . لأن الإسلام يريد من الزوج ومن الزوجة أن يكونا لبعضهما سكنا . وبيت الزوجية يمثل أشرف حضانة لأشرف جنس فى الوجود . ألا وهو الانسان.

— ضجة فى قاعة المحكمة . بين مستحسن ومؤيد ومعارض.

— مديحه تواصل حديثها .فتقول :

— وقبل الشيخ الشعراوى .. هناك الشيخ محمد عبده المصلح الكبير والمتدين الصالح .. قال : « إن الروابط الطبيعية فى الزواج والصهر وسائر أنواع القرابة صارت ضعيفة . . فمن نظر فى أحوال الزواج من المخاصمات والمنازعات .. يخيل إليه أنهم ليسوا من أهل القرآن . . بل يجدهم كأنهم لا شريعة لهم ولا دين .. بل ألهتهم أهواؤهم وشهواتهم »

— مديحة تقول : ان الشيخ محمد عبده يحمل الرجل هنا كل المسئولية فيقول : « زعم بعض الناس أن النساء أشد شهوة من الرجال. وهذا خطأ . فان الرجال كانوا ومازالوا هم الذين يطلبون النساء ويرغبون فيهن .. ثم يظلمونهن حتى بالتحكم فى طبائعهن والحكم على شعورهن » ..

— مديحة تقول : « إن الشيخ محمد عبده يقول أيضاً : « لقد كان الناس لجهلهم بوجوه المصالح الاجتماعية على كمالها ، لا يرون للنساء شأناً فى صلاح حياتهم الاجتماعية ، حتى علمهم القرآن ذلك .. فإن ما جاء فى القرآن من الأحكام لإصلاح حال البيوت . . بحسن معاملة النساء لم تعمل به الأمة على الوجه الأكمل ..

— ضجه فى قاعة المحكمة .. ويزداد عدد المعجبين بمديحة ..

— مديحة تقول : والقرآن .. ماذا قال :

– قال الله تعالى : فى سورة النساء آية ١٩ : « وعاشروهن بالمعروف »

– وقال سبحانه وتعالى فى سورة البقرة – آيه ١٨٧ : « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » ..

– وقال الله فى سورة النساء – آيه ١٢٩ : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم .. فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » ..

– ضجة أكبر فى قاعة المحكمة ..

– مذيعة تقول :

– والنبى عليه الصلاة والسلام قال : عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال .. قال رسول الله : استوصوا بالنساء خيراً .. »

– وقال صلى الله عليه : « لا يبغض مؤمن مؤمنة .. إن كره منها خلقا رضى منها بآخر .. » .. وقال أيضاً : من حق الزوجة على زوجها أن يطعمها ، وأن يكسوها .. ولا يضرب وجهها ، ولا يقبحها أو يسمعها مكروها ، ولا يهجرها إلا فى البيت .»

- مدبحة تقـول : وأنا أعاشر زوجى بالمعروف وهو يعاشرنى بالمعروف .. ولم أقصر أبدا فى حقوقه .. لأنى أعرف وصية النبى صلى الله عليه وسلم عندما سألوه : أى النساء خير يا رسول الله . . فقال : التى تسر زوجها إذا نظر إليها ، وتطيعه إذا أمرها .. ولا تخالفه فى نفسها وماله بما يكره ..

- وقال رسول الله : « إن الله لا ينظر إلى امرأة لا تشكر لزوجها .. وهى لا تستغنى عنه » ..

- ولهذا . . فأنا أتمسك بزوجى . . ولا أستغنى عنه . . ولا أريد أن يتحطم بيتى ، وحياتى الزوجية .. فهل أنا مخطئة ! !

- ضجة كبرى ..

* * *

- ومانشتات الصحف . . ومقالات كبار المفكرين . . حول الزوجة مدبحة . . وبطولتها فى حماية بيتها والدفاع عن حياتها .. وآراء كثيرة ، منها :

- إن الانتماء إلى أسرة وإلى أب وإلى أم ، حاجة أساسية فى كل الأحوال ولابد من الحرص على الحياة الزوجية وتقديسها مهما تكن الظروف ، ومهما تكن الأسباب .. إمضـاء : محمد زكى عبد القادر ..

— أرجوكم .. لا تنظروا إلى الرجل والمرأة وكأنهما متنافسان أو خصمان أو معسكران متعاديان . . بالعكس . . إن كلا منهما يكمل الآخر .. ولا يستطيع أى منهما أن يستغنى عن الآخر .. وبدون أحدهما لا تقوم الحياة الزوجية ولا حياة المجتمع كله ..

إمضاء : توفيق الحكيم ..

* * *

— مديحه تستعرض كل المانشتات ورسوم الكاريكاتير وصورها على صدر الصفحات والمجلات .. وتحتها عناوين ضخمة بارزة :

— « مديحة ترفض الطلاق . . » — « مديحة تتحدث فى المحكمة باسم كل الزوجات » ..

— مديحة تواصل دفاعها فى حماس وصدق وحب . وهى تقول : تحدثت عن الزواج وأهميته فى الشريعة .. والآن أتحدث عن الزواج والحياة العائلية فى رأى بعض فلاسفة الغرب أمثال : جان جاك روسو .. وأندريه موروا — وبول فاليرى.. وتولستوى وغيرهم .. وقد اتفقوا على أهمية الحياة العائلية .

— ولو أردت أن ألقى عليكم بموعظة لقلت : « يوجد فى كل أسرة من الأسر .. نوع من الضجر .. أو الزهق .. والملل..

لكن يكون سببا فى نجاح أفراد الأسرة وجعلهم يلتفون بحماس حول رباطهم الأسرى وعلاقاتهم العائلية بكل حب واحترام ليواصلوا معيشتهم .. حيث ينسى كل زوج وكل زوجة ملله .. أو نزوته .. حين يلتئم شملهم حول الطعام حيث يشعر الزوج بكل حنان زوجته ، وتشعر كل زوجة بكل حب زوجها .. وبرنارد شو هو الذى قال : «إن الصديق يحبك لذكائك ، والصديقة تحبك لما فيك من جاذبية وما لديك من مال .. ولكن حب زوجتك لك لا يعرف سببا ولا يعرف التبرير .. لقد ولدت الحياة الزوجية وامتزجت بدماء ودموع وأحلام الزوجة والزوج» — والكاتب .د . هـ . لورانس هو الذى قال فى روايته «أبناء وعشاق» : «إن الحياة العائلية فى الظروف العادية .. وغير العادية أيضاً — لابد أن تتاح فيها فرصة التدريب على الحب .. وتعلم الوفاق .. والتوافق بين الزوجين .. ولهذا السبب يشعر كل زوج — وكل زوجة طبعاً — بالسعادة العظيمة وهو يعود إلى البيت .. فعش الأسرة هو المكان الوحيد الذى نستطيع فيه أن نكون على سجيتنا ..وهذه ميزة عظيمة لكل زوج .. خصوصا إذا كانت زوجته ليست من نوع زوجة تولستوى أو زوجة نابليون .. فهما أسوأ مثال للزوجة النكدية أو الغيورة ! ..

— مديحة مستمرة فى دفاعها .. تقول : أرسطو وأفلاطون قالا : إن الزوجة العاقلة تحب زوجها مهما حدث منه ومهما

كان من فعاله وتصرفاته .. لأنها لن تكون كافية لتحطيم الرابطة الزوجية .

– نظرات الناس على وجهها .. وهى تقاوم دموعها بقوة إرادة .. وتقاوم تعبها الشديد .. وتواصل بحماس الحديث :

مديحة تقول : إننى لكل هذه الأسباب أرفض الطلاق .. لأنى أريد حماية بيتى ومستقبل أولادى .. وأظن أن هذه مسألة فوق الكرامة الشخصية ، وتصبح المسألة هى : كرامة المرأة كزوجة وكأم .. لأن كرامتى هى كرامة المجتمع كله .. خصوصا أننى لست فى حاجة مادية إلى زوجى .. ولكننى لا أريد لبيت الزوجية أن يتحطم . ولا أريد لأولادى أن يفقدوا ثقتهم فى والدهم .. كما أننى لا أريد أن أفقد احترامى لنفسى .

– وجه مديحة .. وهى تتلقى تهانى والدها الذى عاد يقف إلى جوارها معلنا أنه فخور بها وبذكائها .. ويحاول أن يوضح أسباب رفضه القديم لآرائها ثم عودته للوقوف معها الآن ..

– أخوها الطبيب مصطفى يلاعب طفلها وابنتها ويحكى لهما عن عظمة أمهما مديحة ..

– نادر يدخل فجأة ، يعتذر لمديحه .. يقول : حافضل طول عمرى أعمل المستحيل علشان أكفر لك عن غلطتى .. والدنيا كلها

لازم تعرف إنى فخور بحبك ليه .. وأرجوك يامديحه .. تقبلى اعتذارى وندمى و .

– النظرات على وجه مديحة وهى تصارع رغبات ملتهبة فى البكاء .. والغضب والحنان والشوق والعتاب والعذاب وتقول : هل تستطيع أن تصلح كل الأشياء الجميلة التى انكسرت .. وتحطمت بداخلى .. ؟! ..

– مديحة تقول بحزم : « من فضلك يانادر .. أنا محتاجة وقت طويل علشان أفكر من جديد .. إذاكنانفع نستمر مع بعض والالأ »

– الكاميرا على وجه مديحة وهى تقاوم دموع الحب والألم..

(الانتحار حبا !)

رجل ضعيف .. رجل قوى !

● ناجى يصعد برج التليفونات فى رمسيس بسرعة وهستيريا. زحام المواصلات والناس فى الشارع وصراخهم . — ناجى يصل قمة البرج ويصبح فى خطر — الإسعاف والبوليس — ناجى يتحدث فى هستيريا وسط صراخ الناس — البوليس يصعد البرج وناجى يقذف بنفسه ! .

— فى ريف المنصورة . . ولد وكبر — ناجى — ورغم فقر والده موظف البريد فى القرية وكثرة أولاده وبناته ومرض زوجته — فقد حصل ناجى على الثانوية العامة . . وفشل فى امتحان مسابقة الدخول لمعهد التمثيل أو معهد السينما .. لجهله بالمعلومات الأساسية عن تاريخ الفنون . . ولسذاجة ثقافته فهو تلميذ عادى جداً . . خيالى إلى حد ما .. يحلم بأن يصبح راقصاً فى فرقة الفنون الشعبية أو ممثلا شهيرا ينافس نور الشريف أو محمد صبحى ومحمود ياسين..

حاول من قبل أن يشترك فى فرقة المنصورة المسرحية وقلد مشهدا من « انتهى الدرس يا غبى »وعلى بلك مظهر .. وخلى بالك باجمعه.. — ومسلسل الأبله.. وفيلم دائرة الانتقام... وضربة شمس .. وفيلم وراء الشمس لـكنه فشل .. وطرده مدير الفرقة .. جرب حظه مع فرقة الرقص الشعبى بالمنصورة .. وقلد محمود رضا ..وفريده فهمى .. ورقصة الحصان .. وفشل ! ..

— حاول والده أن يقنعه بدخول مدرسة البريد . . لكنه رفض .. قرر أن يقبل أية وظيفة فى المنصورة ليكون قريبا من مسرح المنصورة .. لعل وعسى .. يجد فرصته ..

— أعطاه والده خطاب توصية لعمته أم زبيدة.. ليسكن عندها وخطاب توصية لموظف ببريد المنصوره ليساعده فى الحصول على أى عمل .. وحمل خطابا من عمدة البلد ، ومن وكيل محامى بها .. لبعض معارفهم فى البندر ..

— رحبت به أم زبيده .. وتعلقت به زبده ابنة عمته وضايقته بمراهقتها . . و . . . حلم بقصة حب جميلة معها وحلم بالنجاح فى الرقص الشعبى ونشر صوره فى الصحف ومنافسته لمحمد صبحى ونور الشريف...واشتكى محمود ياسين من حصول ناجى على كل أدواره فى الأفلام والمسلسلات .. و .. أيضا حلم بصورة زفافه

على زبده بنت عمته منشورة فى الصحف فأثارت غيرة فاتن حمامه وسعاد حسنى ونجلاء وشويكار .. و ..

– أفاق على فتحبلكونة عمته .. وسمع زبدة تهمس بموعد لقاء مع جارهم ماهر .. الشاب الذى يماثله فى السن . . ويقل عنه فى الوسامة إلى حد ملحوظ ..

– وبشهامة وغيره الفلاحين نبه على زبدة بالتزام حدود الأدب وحرم عليها معاكسة ابن الجيران .. لكن زبـــدة أقنعته ببراءتها .. وقالت أنه مثل أخيها .. ومتربيين سوا .. وجايز نكونراضعين على بعض..وكان يذاكر معهافى ابتدائى واعدادى .. حتى جلست هى فى البيت بعد فشلها فى مدرسة التجارة ، انتظارا لابن الحلال . .

– وعرفته زبده بماهر ابن الجيران . . واكتشف هو أن ماهر – لطيف جداً وحبوب ..وصارا صديقين يلعبان الكوتشينة والطاولة .. وتعلم منماهر تدخين السجاير .. والجلوس على المقهى أسفل البيت .. ومعاكسة البنات على كورنيش المنصورة .

– أكد ماهر صداقته وحبه لناجى ، بأن سعى له بنفسه حتى حصل على عمل باليومية فى مصبغة مصنع الأقمشة بالمنصورة .. وصارا زميلين فى المصبغة .. يعملان ليلا أو نهارا .. لمدة طويله

فى جو حار خانق مرهق ويتحول لونهما إلى ألوان صباغة الأقمشة عدة مرات .. بحسب اللون المطلوب .. و ..

– وفى المصبغة . . وفى بيت ماهر . . وفى بيت أم زبده .. وفى المقهى ... وعلى الكورنيش وفى مسرح المنصورة تكررت أحاديث ماهر وناجى .. وعرف كل منهما طموح صاحبه وأحلامه ..

– ماهر يحلم بالمال .. بالثراء .. بعمل ضخم فى مصر .. لديه خبرة خمس سنين فى تصميم وصباغة الملابس .. ومن قبلها خبرة عشرة سنوات فى محلات كهربائية وإصلاح ماكينات الخياطة ، وورش نجارة ومحل عجلاتى ، وميكانيكى موتوسكلات ومساعد مسحراتى .. ويريد فيلا خاصة لها حديقة وحمام سباحه وبندقية صيد ، وطبيب خصوصى لعلاج أم ماهر من الرعشة والقلب والمعدة .. والصداع المزمن . . وسيجعل وظيفة سائقه الخصوصى لزوج أخته أبو العيال الغلبان وسيجعل مرتبه ربع ألف جنيه شهرياً . . وسيصبح له رصيد ضخم فى البنك ويتزوج بنت الحلال – لم يقل اسمها لناجى حتى لا يتعاركا .

– وناجى يبوح لماهر بأحلامه . . نجم راقص . يتفوق على محمود رضا ..وفريده فهمى ..ويجرى وراءه حسن الإمام ويرجوه أن يملى شروطه لبطولة أفلامه كلها . . و . . الزواج من زبده

الجميلة و .. كاد ماهر يضربه .. لكنه تذكر أن زبده تحبه هو لا ناجى ..

ـ قال ماهر لناجى : الحل أن نهرب فوراً إلى مصر .. نسافر من أجل مستقبلنا .. و .. بدأ كل منهما يدخر جزءا من أجره فى المصبغة استعدادا ليوم السفر إلى مدينة الأحلام مصر ..

فجأة يشب حريق رهيب فى المصبغة .. تحترق آلاف الأمتار من الأقمشة .. ويموت عاملان .. ويصاب آخرون .. وكانت حروق ناجى وماهر سطحية فعولجا بالمستشفى وخرجا فورا .. ليتنافسا فى رواية الحادث بمبالغات .. إلى زبده وأم زبده ..

ـ ظلا بلا عمل شهرا كاملا .. لأن المصبغة يعاد بناؤها وإعدادها للعمل .. وفى الشهر التالى .. اكتشفا أن المصنع انتهز الفرصة وجعلها مصبغة آلية حديثة .. واستغنى عن عمال اليومية جميعا ..

ـ فسافرا إلى مصر .. وأحلامهما تسابق القطار .

* * *

ـ فى مصر .. استأجرا غرفة فى بنسيون بسيدنا الحسين .. صاحبته امرأة طيبة القلب .. وإن تكن متعرية الجسد واللسان

ـ وافترق ماهر وناجى بعد أن اقتسما ما معهما من نقود ، وتواعدا على اللقاء ليلا فى المسكن .. ليخبر كل منهما صاحبه بما توصل إليه ..

– ماهر ذهب إلى أحد مصانع القماش وحدثهم عن موهبته فى تصميم زخارف الأقمشة وخبرته فى مزج الألوان بالمصبغة وقدم خطابات الخبرة السابقة .. فحصل على فرصة لتجريبه ..

– ناجى ذهب إلى الفرقة القومية .. طلب أن يقابل المدير .. انتظر طويلا .. أخيرا قابله . حدثه عن أحلامه وطموحه وأنه يقلد فريده فهمى ومحمود رضا .. ضحك المدير .. حاول أن ينبه ناجى إلى أنه فى الفرقة القومية وليس فى فرقة رضا .. لكنه فشل .. تركه يقلد محمود رضا .. لاحظ المدير أن خطوات ناجى رغم ريفيتها وسذاجتها إلا أنها خامة طيبة .. وخاصة أن جسده ممشوق .. طويل .. رشيق يطيع خطواته بلا صعوبات .. إنه موهبة خام .. يجوز أن تتطور .. و « ييجى منها » .. فنصحه بالانتظام فى دراسة الفنون الشعبية فى مدرسة الفرقة .. ليتدرب جيدا لعل وعسى ! ..

– صار ناجى تلميذا فى مدرسة الرقص الشعبى .. يتدرب ويحلم بالمجد والشهرة و .. زبده ..

– لكنه اكتشف أنه فى حاجة إلى أجر .. إلى نقود .. فقد صار يخجل من قيام ماهر – وحده – بكل المصاريف : إقامه – وطعام – وفسح – ومصروف جيب .. وسجاير – ماهر نصحه بالعمل باليوميه عنده فى المصبغة – وخاصة أنه (ماهر) صار موظفا كبيرا بمرتب شهرى ثابت بعد أن أثبت للمصنع براعته

فى الصباغة .. ناجى رفض قال أن مستقبله فى الفن ولم يعد يصلح لأى عمل آخر . .

– ماهر نصحه بأن يكلم مدير الفرقة بصراحة لعله يعطيه دورا صغيرا بأجر معقول شهريا . .

– بالفعل تكلم ناجى مع مدير الفرقة .. لكنه اعتذر نهبلوائح الحكومة وقوانين الوظائف .. وضرورة أن يكمل دراسته قبل أن يحصل على فرصة عمل فى الفرقة و ..

– لكن مدير الفرقة أوصى به ، الأستاذ مدحت . . الصحفى الفنى الذى يهتم بالناشئين ويرعاهم فى صحيفته ..

– ويكتب عنه مدحت موضوعا مثيرا على اعتبار أنه فلاح من القرية يتعلم الرقص فى مدرسة الفرقة القومية . . وأن الرقص عيب وحرام فى الريف .. و .. لكن التطور الذى هو .... إلخ ..

– ناجى يفرح جدا بصورته فى الصحيفة ويرسل منها عدة نسخ إلى زبده وأم زبده فى المنصورة وإلى أمه ووالده فى القرية .. وإلى بعض أصدقاء القرية أيضا . . ليعرفوا أنه « خلاص » على أبواب المجد .

– ويصله خطاب من والده يلومه فيه اقوله – فى الصحيفة – انه فقير ابن فقراء وانه واحد من ملايين المعدمين وأن أسرته

لم تستطع الصرف على تعليمه الجامعي و .. وأنه كان يرقص من وراء أبيه حتى لا يضربه و .. أن هذا عيب و .. فضحتنا فى القرية وفى مصر كلها و ...

– اضطرب ناجى وحزن وقرر أن يعاتب الأستاذ مدحت على مبالغاته وحكاياته الخيالية عن فقر ناجى وأسرته و ...

– لكن ناجى تلعثم عندما ضحك الأستاذ مدحت وقال له « يا عبيط دهلزوم الدعاية .. انت شاب لك مستقبل لوسمعت الكلام واهتميت بالتدريب .. ممكن أعمل منك قنبلة فنيه بعد سنتين ثلاثه .. و ...

– ذكره ناجى بوعده بالبحث له عن عمل . . لأنه بصراحة لا يملك ثمن رغيف واحد . .

– ساعده مدحت فى العمل مخبر صحفى .. يكتب أخبار الفرقة وغيرها فى بابه بالصحيفة .. وقرر له أجرا يتراوح بين ٣ – و ٥ جنيهات شهريا . . إلى جانب ما يجود به كرمه من طعام وشاى وسجاير كلما رآه ! ..

– وواصل ناجى التدريب .. ولم يتخل عن أحلامه فى الشهره والزواج من زبده .. وظل يسكن مع ماهر ..

– ماهر يظهر عليه الثراء .. ويقرر السكن فى لوكانده أنظف فى حى أرقى ..ويدهش ناجى .. ويسأله : من أين لك هذا ؟!..

– ماهر يعترف بأنهفاز فى مسابقة لتصميم رسومات زخرفية حديثة جدا لنوع من الأقمشة تستعد الشركة لتسويقه بالاشتراك مع شركة يابانية ..وأن الشركةاليابانية ضاعفت له الجائزة ..وأنه رقى أيضا فى وظيفته .. و ..

– ينتقلان إلى فندق أرقى بوسط البلد .. ولا يبخل ماهر على صديقه ناجى ببعض المال – بصفة سلفة – ثم يتحدثان عنالزواج والمستقبل . . ويعترف ماهر بأنه على وشك إحضار خطيبته إلى مصر . . ليقدمها لناجى . . و . . يحاول ناجى أن يعرف اسمها أو من أين هى . . لكن ماهر يقول له .. « خليها مفاجأة » !..

– ينشغل ناجى فى عمله الصحفى – ليزيد من أجره – كما يواصل التدريب بحماس ليصعد إلى خشبة المسرح ويقترب من أحلامه .

– فى نفس الوقت تهتم به راقصةبالفرقه اسمهامديحه .. وهى فتاة من أسرة عريقة ، والدها مليونير .. يشارك فى عديد من شركاتالانفتاح وأمها لديها مزرعتان بالدقهلية وقليوب ..ولكنها – مديحه – تهوى العطف على الفقراء .. والوقوف إلى جوار

المحتاجين والضعفاء .. وقد رأت ذلك فى ناجى .. فحاولت الاقتراب منه وتشجيعه .

– ناجى يفرح باهتمام مديحه به.. لكنه يصارحها بحبه لابنه عمته زبده .. ويتحدث عنها كثيراً ويصفها لمديحه ..

– مديحه تدعوه إلى قصرها ..وتقدمه لوالدها وأمها . وتدعوه إلى حمام السباحه .. وإلى أماكن لهوها وسهرها .. فيرى دنيا شديدة الضخامه والثراء ويكاد يتضاءل أمام حياة مديحه ، ويحس أنه شديد الفقر لدرجة لاتحتمل .. وأصبح يعتذر لمديحه عن مصاحبتها فى تلك الأماكن .. لكن مديحه تتبسط معه وتشرح لها نظريتها فى إزالة الفوارق بين الطبقات .. وأنها تحب أن تكون مثله .. فهذه الملايين – وهى وارثتها الوحيده – مال والدها .. وهى تحب أن تصنع ثروتها بعرقها هى وعملها هى .. و ... الخ ثم تدعوه إلى سندويتش فول وطعمية بفرح شديد .. وتمنحه قبلة أيضاً .. فاحمر وجه ناجى .. لكن مديحه تضحك وتقول : لازم تسيب التخلف الفلاحى بتاعك وتبقى مودرن .. ترقص معايا فى السهرات وتحب أغانى البونى أم .. والديسكو .. و..و..

– ناجى تعجبه مديحه التى تحيطه باهتمام يثير غروره المراهق – لكنه يخاف من ثرائها المذهل .. ويحكى لماهر عن مديحه

بنت المليونيره .. ويعترف بخوفه من أسرتها .. « أنا مش من وسطها وسواقها الخصوصى أكيد مرتبه قد مرتب والدى عشر مرات »

— ماهر يسخر منه ويقول له : دى فرصة أنا لايمكن اتركها أبداً .. الحياه فرص . انتهز فرصتك ياناجى .. اشغل مديحه .. خليها تتجنن فى حبك .. واتجوزها حتى من ورا أبوها .. هو فيه حد يرفض الجواز من مليون جنيه — تلاته مليون ياأهبل وخايف منها ؟!

— ناجى يعترض .. الحب مش كده .. المبادىء و.. الخ .

— ماهر يستمر فى السخرية من ناجى ، ويحرضه على التمسك بمديحه .. أخيراً يعرض أن يقدمه ناجى إلى مديحه وسيقوم هو باللازم .

— ناجى يتهم ماهر بالاستهتار .

— ماهر يعترف له : أنا صحيح موهوب .. وفزت فى مسابقه للتصميم .. اترقيت فى وظيفتى .. لكن وبعدين ؟! يلزمنى فلوس كتير .. كتير .. المرتب مهما كان كبير لايكفى لفتح بيت. عشان كده .. الحياة فرص .. مبدئى الجديد .. لازم انتهز الفرصه . وجايز افتح بوتيكات .. واشتغل فى تجارة الشنطه .. مادام موهبتى

مش مكفية مطالبى بالحلال .. أجرب السكة الثانية .. أمى يلزمها علاج وأنا لازم أعيش مبسوط .. زهقت من الفقر .

– ناجى يدهش من تحول ماهر لكن ماهر يقول هى دى حقيقتى وحقيقتك. كل واحد جواه وحش، ذئب، غول.. لما يجوع لازم يتصرف . وأنا حتصرف .

– ناجى يرفض أن يقدمه لمديحه .. ويضحك : ده انت جايز تخطفها وتطلب مليون جنية فديه من أبوها . (ويضحكان) .

***

– يعود ناجى ذات يوم مرهقا من عمله فى الجريده .. وفى التدريب بمدرسة الفرقة .. فيصارحه ماهر بأنه أرسل إلى خطيبة لتحضر .. وعليك ياناجى أن تبحث عن مسكن آخر .. ويوافق ناجى .. ويسأل : مش لسه أسبوع .. أصل اللوكاندات كلها زحمه بسبب زحام السياح العرب فى مصر .

– ويعطيه ماهر مهلة أسبوع .

***

– فى التدريب .. يفاجأ ناجى بأن المدير يختاره مع شابين آخرين .. ليشتركوا فى الفرقة .. فى رقصة ريفية .. يفرح ناجى

ويصيح من شدة الفرح ويرقص فعلا ويحرص على الاتقان والتجويد لكى يظل راقصا أساسياً (لأنه رقص احتياطى لتغيب بعض الراقصين لاشتراكهم فى مسلسل تليفزيونى يصور فى اليونان) :

– بالفعل ينال ناجى إعجاب مدير الفرقة وتشجيع أعضاء الفرقة – بالذات مديحه – ويثبت ضمن الفريق .

– مديحه تطلب من المدير أن يشاركها ناجى فى رقصتها بدلا من رجب الذى يمارض ويسبب المشاكل لها وللفرقة .. ويوافق المدير .. وتتضاعف فرصة ناجى .

– يهرول ناجى إلى المسكن ، ويعانق ماهر ويخبره بالخبر المنتظر له .. ثم .. تصدم نظراته بوجه زبده – المرتبكة .. المتكومه فى الفراش شاحبه .. ويصرخ ناجى .

– زبده .. ايه اللى جابك يابنت ؟ .. ومالك كده زى اللى عاملة عاملة ، (تظل زبده صامته مرتبكة شاحبه) .

– يواجه ناجى صديق العمر ماهر غاضباً مستفزاً .

– ماهر يسرع بالاعتراف .. والله أنا فوجئت بها داخله عليه .. وقالت ان أمها وافقت خلاص على طلب أمى .. واتخطبنا لبعض وهى جت تفرحنى بنفسها .

– ناجى ينظر إلى زبده غير مصدق .. وفى حزن يتذكر أنه أحبها .. وأنها أحبته .. وأنه حكى عنها كثيراً لمديحه و .. يسألها : ده صحيح يازبده ؟

– زبده تبكى وتعترف : أنا هربت من أمى .. الليله كان كتب كتابى على . تاجر الفراخ والبط .. أمى موافقة عليه .. أبوك منجديش، بعت له عشرين مره يلحقنى مرضش عليه .. قلت آجى بنفسى علشان ماهر كان طلب إيدى من أمى .. أم ماهر اتكلمت عليه عشرين مره واحنا بنحب بعض .

– ماهر يرتبك ويبعد عينيه عن ناجى .

– ناجى يقرر أن تسافر زبده معه فوراً إلى المنصوره وماهر إذا كان عاوزك .. يسافر معانا ويكتب عليكى هناك .

– زبده تبكى .. وتقول : ماخلاص .. احنا كتبنا على بعض من ساعتين .. فى قسم البوليس .. أنا سنى فوق العشرين .. مش قاصر يعنى .

– ماهر يقول : بحبها ياأخى وعلى العموم إطلع منها وياللا .. لم هدومك ودور لك على سكن تانى ..

– ناجى يحمل حقيبته . . ويرفض حتى دعوة مديرة اللوكاندة بايجار غرفة له . . ولكنه يقبل نصحيتها بالذهاب

– مؤقتاً – إلى فندقها القديم فى كلوت بك .. (واتصلت تليفونيا وأوصت به فعلا) .

– وسط الزحام .. يصل ناجى شاردا إلى فندق كلوت بك وسط رائحة عفنة ، وعرى ظاهر فى زبائن وزبونات الفندق القذر .. يدخل غرفته وينام حزيناً متعبا .

– يحلم بكابوس رهيب . والده وعمته يخنقاته وأمه تبكى.. وزيده تتعلق فى عنقه مستغيثة وماهر يهرول مبتعدا . .

– يصحو ناجى على صوت عنيف .. ويكتشف أن باب الغرفة يفتح محدثا صوتا رهيبا .. وتدخل منه فتاة – أو امرأة– متعرية .. مثيرة .. مصبوغة الوجه والشفتين ومعها الإفطار .. وترتمى إلى جواره فى الفراش وتصبح عليه وتقبله وهى تقول : التحلية هنا قبل الأكل وبعده .. أو أربع مرات كل يوم وليلة.. حسب الطلب وتحت أمرك .. ياخواتى على جماله . . لها حق صاحبة الفندق طول عمرها عندها نظر .

وتضمه بعشق فيفزع منها ويهرول هابطا من الفراش .. معلنا أنه حتما مش حيفطر لأن وراءه شغل مستعجل .. فتضحك البنت وتقول:

— على العموم أنا شوشو .. اطلبنى تجدنى .. هيء !

* * *

— من الجريدة ..إلى الفرقة .. يذهب ناجى مسرعا : مهموما — ويبدأ تدريبه على الرقصة الجديدة مع مديحة .. التى تعاتبه لعدم ذهابه إليها فى القصر حيث وعدته بحفل بمناسبة اشتراكه فى الفرقة .. وتؤكد عليه أن يذهب معها الليلة ..

— أعضاء الفرقة من حولها يتابعون . . بعضهم معجب بناجى .. وتطوره وطموحه .. بعضهم مندهش من حب مديحة لناجى .. إحداهن تقول : هى كده .. بتحب تحدق .. بتهوى جمع المساكين والفقراء للعطف عليهم . أحدهم يقول : ناجى مش حمل مديحة .. لو اتصدم فيها يمكن يموت .. البنت مدلعة.. ومش بتحب حد بجد .. بتتسلى .. فاكر اللى عملته فى رجب عقدته وخلته فشل وبطل ييجى الفرقة .. و .. إلخ ..

— وأثناء الرقص باهتمام شديد . . تدوى صرخة فلاحى رهيبة فى قاعة المسرح ويذهل الجميع ..

— كانت أم زبده ومعها أبو ناجى .. و ..

— أعلنت أم زبده الفضيحة للجميع زبده بنتى هربت من المنصورة علشان تتجوز ناجى من ورانا .. طب كانت تقولى..

وأنت يا ناجي .. كنت اطلب إيدها .. بالشرع .. تخطفها .. تخليها تهرب ليلة فرحهاو ....

– يضحك الجميع ويسخرون ..

– مدير الفرقة يعلن : دى فرقة محترمة .. واللى حصل ده سفاله انحطاط تخلف .. انت ياسى زفت ناجي .. مرفود.. بره .. بره ..

– يسقط ناجي من حافة المسرح إلى الأرض فاقد الوعى .. تفزع مديحة .. وغيرها يحاولون إسعافه .. أخيرا يفيق على صدر والده .. الباكى بحزن .. وسط صراخ عمته .. يحاول شرح الأمر للجميع .. لكن صوته لا يخرج ... لسانه تقيل :

– ناجي يصاب بفقد النطق ..

يحاول أن يمشى .. ساقه اليمنى ثقيله يجرها ثم يسقط .

– فقد نطق .. وشلل فى ساقه .. مع كسور ...هكذا يعلن الطبيب .. وسط ذهول مديحة وزملائها ومديرها .. وفزع الأب والعمه ..

– أخيرا يفيق ناجي من البنج أو العلاج المسكن ويطلب

ورقة وقلما ليكتب لمديحة : قولى لأبى وعمتى أن زبده اتجوزت ماهر .. وعنوانهم فندق . .

– تهرول أم زبده ووالده إلى الفندق ..

– تظل مديحة إلى جوار ناجى .. تواسيه . . تحدثه عن المجد والشهرة وقوة الإرادة . . وتقول له : لازم تهزم اللى حصل كله .. لازم تخف علشان نرقص سوا .. ونتجوز . . ومش بعيد تعمل فرقة من فلوسى ، وتقول له « الحب وحده هو الذى يمنحنا أنفسنا .. يقوينا .. ويهزم اليأس .. الخ » .

ينمو الحب بين ناجى ومديحة . . فهى تصاحبه فى كل مراحل علاجه الطبى والطبيعى . . وتنقله إلى أرقى المستشفيات وتحضر له أشهر الأطباء والمعالجين . . و

ممكن تسافر به لعلاجه فى الخارج أيضا .. وللدراسة الفنون الشعبية بالخارج .. أسبانيا مثلا .

– وتتعرف مديحة على ماهر وزبده عندما كانوا يزورون ناجى . .

ويبدأ ماهر فى إثارة اهتمام مديحة ويغرقها فى الثناء على ذكائها وجمالها .. الخ ..

– والد ناجى وأمه وإخوته وأخواته . . وعمدة البلدة يزورون ناجى خلال علاجه .. وتتعرف مديحة جيدا على المستوى الاجتماعى لناجى .. لكنها تظل متعلقة به ..

– تدريجيا يعود ناجى إلى الكلام . أول كلمة قالها : بحبك يا مديحة – الحمد لله . .

صاحت مديحة فرحا ورقصت حوله فى حديقة المستشفى . . ونقلته إلى قصرها واستضافته لمدة شهر . . ووعدته بقضاء الشتاء فى فيلا والدها بأسوان . . أو فى الخارج . والصيف فى أوربا أو فى اسكندرية .. و .. إلخ ..

– تصحبه مديحة إلى المسرح ليشاهدوا عرضا جديدا للفرقة التى ترحب بهما ويقدمانهما الجمهور ..

– ناجى يواصل علاج ساقه وتدريبها على المشى ببطء وسط حب غامر من مديحه . .

– وناجى يحلم برقصات يقدمها مع مديحة والفرقة فى أسوان . . فى اسكندرية . . فى السما . . فى الصحراء .. فى الحقول .. فى قريته بالذات وسط أهله وجيرانه ليروا أنه ناجح جدا ويرى وسط الأهالى كل أعضاء فرقة المنصورة ومديرها .. ويدهشون ثم يعجبون لرقصة بامتياز ..و..

يفيق على صرخة فرح لأنه تمكن من السير أخيرا على ساقه ، بل وأخذ يحركها فى إيقاع راقص بطىء .. و .. قبلته مديحة فى فرح طاغ .

– على مسرح الفرقة.. أخذوا يصفقون لشفاء ناجى وعودته مع مديحة إليهم .. ويستعدون لتقديم الرقصات الجديدة .. و ..

– الأستاذ مدحت يكتب عنهما فى جريدته ..ويبشر بنجاح... ثنائى راقص جديد ينافس محمود رضا وفريده فهمى الخ ..

– الرقصة الجديدة تصور قصة حب وفراق وضياع لشابين ناجى ومديحة يؤديانها باتقان مذهل .. لدرجة أن ناجى يبكى عندما تفر منه مديحة ولا يبقى معه إلا شالها الذى تمكن من الإمساك به قبل أن تتركه وحيدا وسط الضياع حبيبا عاشقا مجروحا وتدوى القاعة بالتصفيق .

– ويتلقى ناجى ومديحة تهانى مديرهما وزملائهما وسط همسات وغمزات من بعض الأعضاء عن غدر مديحة المعتاد .. أو هوايتها للعطف فقط على الفقراء .

– تتوقف سيارة مديحة أمام قصرها .. وتهبط وهى تقول ببساطة : ناجى عربيتى حتوصلك للشيراتون أنا حجزت لك

هناك شهر كامل .. والدك رفض ينزل معاك .. حجز لنفسه فى لوكاندة — وسط البلد .. مع ماهر وزبده .. أحب أشوفك فى الفرقة .. خلينا أصدقاء وبس .. بيباى ..

— ذهل ناجى .. أسرع إليها مدهوشا غاضبا مستفسرا .. عن سبب تغيرها المفاجىء .. ابتسمت وقالت : أبدا .. أنا عادية جدا .. والدك عارف كل حاجة .. اسأله .. سلام !..

— وهرولت إلى قصرها .. تاهت من نظرات ناجى المحزون .. وسط الأزهار والأشجار و ..

— استدار ناجى مفجوعا .. ترك القصر والسيارة .. صار وسط الزحام .. شاردا .. وصل إلى أبيه .

— ماهر وزبده .. ووالده .. صامتين .. ارتمى ناجى فى أحضان والده وبكى .. قال له أبوه :

— أثناء علاجك .. حاولت مديحة إقناعى بأن تتزوج أنت وهى .. أنا صممت على موافقة أهلها .. أخذتنى إلى والدها .. مليونير كبير قوى يابنى وأمها عندها عزب وأطيان .. وذهب .. الصراحة صعب قوى الجواز من واحدة زيها ..

صاح ناجى : لكن مديحة بتحبنى .. وأنا بحبها ..

ـ أعطاه والده شيكات .. وقال : هى أعطتنى كل ده علشان اشترى لنفسى هدوم وأكل أخواتك وأعالج أمك .. أنا رفضت اصرفها .. خدها رجعها لمديحة يا ناجى .. وانساها..

ـ ناجى مذهول .. يقول : ايه ؟ .. صدقة .. معونة .. مش ممكن .. وحبها .. حبها يا عالم .. دى حبتنى حب حقيقى.. مش ممكن ..

ـ والد ناجى يشرح لابنه كيف أن مديحة حاولت المستحيل مع والدها ليوافق .. لكن والدها تكلم معها عن الثراء الرهيب اللى هى فيه .. وقال أن غناها سيجعلها تتعالى على زوجها رغما عنها .. وأن ناجى سيظل شاعراً بالنقص لفقره ...

و .. [حوار طويل عن الغنى والفقر .. بصورة مختلفة وواقعية]

ـ أم مديحة تقول لابنتها ولوالد ناجى : لسنا متكبرين .. ولا نتمسك بزوج ثرى .. لكن بنتى اتعلمت فى مدارس أجنبية .. سلوكها وسهرها وحياتها لها طابع غير طابع ناجى .. حيحصل أزمات .. الزواج سيكون جحيم متصل لها .. و .. إلخ..

* * *

– ناجى يعود إلى الفرقة مصمما على النجاح .. على بناء نفسه .. يؤدى رقصته مع مديحة بإتقان مذهل .. بصدق .. بحب مجروح .. بكبرياء مهان ..

وعلى غير المفروض فى الرقصة – يمسك بيدها بعنف ..

تقول له مديحة : المفروض تمسك طرف شالى .. وليس يدى ..

فيقول لها ناجى : ده صحيح .. لكن عندى أمانة لازم ارجعها .. شيكاتك يا مديحة .. مع الشكر .. وباقى عندى تكاليف العلاج .. حسددها قريباً ..

ثم يطلق يديها بدفعة قوية من يديه .. فتبتعد مذهولة عنه وتدور حوله فى إيقاعات مذبوحة .. وهو يبتعد فى دورات رشيقة واثقة .. وسط تهليل الجمهور وأعضاء الفرقة .. و ..

* * *

– عقب الحفل يفاجأ ناجى بمديحة تسير إلى جواره .. وتركب الترولى .. وتضحك ببراءة .. ودموع فى عينيها تلمع .. ويقطع لها تذكرة .. وتهبط معه إلى الحى الشعبى .. وتدخل معه اللوكاندة .. وتتغدى معه ومع والده .. وماهر وزبدة .. فول وطعمية .. و .. تطلب المأذون من مديرة اللوكاندة كما تدعو والدها وأمها لحضور الزفاف إذا أرادا فلا يحضران ..

– وسط ذهول الجميع يتم الزواج . . وتمزق الشيكات وتعلن : حنعيش سوا .. ناكلها بملح سوا .. يحيا الفقر ! ..

– ماهر ينحنى بسرعة ويجمع الشيكات الممزقة بحرص وسرعة وشراهة ، وهو يداعبهما ويقدم لهما هدية رمزية مسلية .

– شهر عسل سعيد جداً .. وفقير جداً جداً ..

ومديحة متماسكة لا يظهر عليها الندم ..

– ونرى ماهر ساهرا فى غرفته مع زبدة يلصق الشيكات الممزقة بحرص وفرح ... الشيكات بمبلغ ضخم .

– ويسافر ناجى إلى أمه المريضة . . ويعود ليجد زوبعة فى مسكن ماهر .. ومديحة تحاول إصلاح ما بين ماهر وزبدة .. لكن زبدة تصرخ فيها وتطردها .. (وكأنها تكتم فضيحة تخجل من إعلانها) ثم تحمل ثيابها وتصمم على العودة حالا إلى المنصورة.. يوصلها ماهر فترفض . يوصلها ناجى فترفض .. وتتوه وسط الزحام .. مكررة كلمة واحدة : فاجر .. فاجرة .. ويلحق بها ناجى ويوصلها وطوال الطريق للقطار يحاول أن يعرف الحكاية فترفض الحديث :

– ناجى يحاول أن يفهم المشكلة .. لكن ماهر بارتباك يقول : بنت عمتك غيارة جدا . . مجنونه غيره ومشاكل . . على العموم كلها كام يوم وأسافر أرجعها .. وحتكون عقلت ..

وبالمناسبة : أصلى مشغول اليومين دول فى شوية مشاريع . . دخلت فى صفقة العمر مع واحد من ملوك الانفتاح .. بعدين حقول لك التفاصيل .

– مديحة تقول : ضرورى ضرورى تصالحها يا ماهر ..

بعدين ازعل منك جدا ...

– ماهر بسرعة ومرح : يا خبر يا مديحة هانم .. وهو أنا أقدر على زعلك .

* * *

– ماهر يظهر عليه الثراء بشكل ملحوظ .. يسأله ناجى ضاحكا : ايه مسابقة يابانية تانية وإلا سرقت الشركة ؟ ..

– ماهر يضحك ويقـــول فى ثقة كبيرة : أبدا . . أنا عثرت على كنز .. لقيت فرصة عمرى واتعينت مستشار شركة انفتاح جديدة ! . . وعلى فكرة . . الليلة افتتاح أول شركة باسمى . . أصلى عثرت على شريك مليونير . . لازم تحضر يا ناجى . . مديحة حتحضر . . هه . . زرنا تجد المجد معنا وعندنا ..

– مديحة تتعمد عدم الذهاب إلى الفرقة .. تتمارض تطلب من ناجى أن يأخذ لها أجازة أسبوعين .. فهى حامل .. ناجى

يصرخ : حامل ؟ . . تقول : ذهبت للطبيب وأنت مسافر عند أمك .. أكد لى أن فيه حمل .. يصيح ناجى : حأبقى أب .. أب . . يا حياتى ويرقص رقصة فرح غامرة تجمع من حوله كل نزلاء الفندق .. فى فرح ضخم ..

– ماهر يهمس فى أذن مديحة : حيتصدم .. كان لازم تصارحيه قبل ما يعمل المولد ده .. مسكين ناجى !

– مديحة تقول : أكيد حقول له الحقيقة ..

– وسط اندماج ناجى فى الرقص والمرح تقترب منه مديحة وتجذبه من يديه . . يحاول هو أن يجعلها تشاركه الرقص . . لكنها تجذبه خارج الحلبة وتصعد إلى غرفتها وخلفها ناجى وماهر .. فى صمت متوتر ..

– مديحة : بصراحة . . أنا خنتك مع ماهر . . ولازم تكون جرىء... تطلقنى .. أنا حامل من ماهر مش منك .. هو صحيح شاب متهور وأنا أعجبت بطموحه وجدت فيه الهمجية اللى باتمناها . .

– ناجى يصرخ : ده جنون .. سفالة .. انحطاط ..

– ماهر يقول بوقاحة : دى الحقيقة .. أنا ومديحة خلاص.. حنتجوز وباباها نفسه موافق . أنا رجعت له الشيكات بشروطى.. عملنا شركة صغيرة أنا داخل فيها بجهودى وعرقى وذكائى وهو بفلوسه .. فهمت يا ناجى والا لسه ! ..

– ناجى يصفع ماهر .. ومديحة بشراسة .. وهو يقول خونة .... خونة .. « .. كلاب .. كلاب .. » ويخرج مرددا : أنت طالق .. طالق .. طالق .. ثم يجرى إلى الشارع وسط الزحام يصطدم ناجى بالناس والسيارات ويجرح .. لكنه مذهول .. يحدث نفسه : معقولة .. ماهر يخونى .. مديحة تخونى .. معقولة .. مش ممكن ده جنون .. سفاله .. انحطاط .. كلاب .. وقاحة .. وقاحة .. تقذفه سيارة إلى الرصيف يرتمى مجروحا .. يهب واقفاً ودمه ينزف ويهرول محدثا نفسه .. وسط دهشة المارة فى شارع رمسيس .

– يتوقف أمام برج التليفونات برمسيس يحدق فيه من أسفل لأعلى .. من أعلى لأسفل ثم بسرعة البرق .. ناجى يقفز رغم جراحه وساقه المكسورة .. ويتعلق بالبرج ويصعد بسرعه بسرعه بسرعه حتى يصل إلى قمة البرج .. ويدور رأسه .. يكاد يسقط لكنه يتماسك ويقف فاردا جسده وفاتحا ذراعيه وسط صراخ وذهول النساء والرجال وتوقف المواصلات وتجمع الناس وظهور عربات الإسعاف والبوليس وصعود رجال الشرطة إليه .. لكنه يصيح مهددا :

– حارمى نفسى فورا إذا لم تنزل الشرطة من البرج .. انزلوا فورا .. إياكم أن تقتربوا من البرج ..

– يهبط رجال الشرطة عندما يهم بقذف نفسه لكنه يتماسك ..

ويبدأ فى إلقاء خطاب طويل متوتر ملتهب عن الصداقة والشرف والأمانة والحب والخداع والغدر و ..

– لقطات سريعة للجماهير ومع بعضهم صحف اليوم عليها مانشتات : جنازة الشاه .. وموظف حرم من الترقية فقتل مديره – طالب يقتل صديق أمه . الخوميني يهدد .. ثوار أفغانستان بلا سلاح .

– من مكبر صوت يتحدث أحد الضباط مهدئا لناجى .. راجيا أن يهبط أو يسمح بصعود أحد الأطباء إليه .. ليساعده أو يفهم شكواه .. ووعد بأن كل طلباتك ستجاب فورا .

– ناجى ساخرا فى حزن رهيب مجنون : طلباتى ستجاب فورا .. كيف . هل أنتم قادرون على إعادة الصدق والشرف والأمانة إلى صديقى ماهر .. وإلى زوجتى مديحة ..هل تقدرون .. خونة كلاب سفله .. سفله .. ثم .. يقذف بنفسه من قمة البرج وسط صراخ الجميع .. ورجال الاسعاف والبوليس يفردون مراتب وشباك الإنقاذ التى كانوا قد بدأوا فى إعدادها منذ جاءوا .. و ..

– جسد ناجى يهوى ببطء ثم .. تتوقف الصورة تماما ..معلقة بين السماء والأرض وسط الذهول .. و .. تظلم الدنيا ببطء .. حتى لا يظل منها إلا مربع مضاء على جثة ناجى المعلقة بين قمة البرج والأرض .. و ..

الهجمى

— فريد .. يعيش فى حى شعبى .. ويفرض احترامه على الجميع مستخدما سلاح المكر والذكاء ومدفعه الرشاش .. وهو مسموع الكلمة عند الجميع . فى سوق الخضار هو السيد المطاع . وهو حامى حمى تجار المخدرات والمسروقات وصاحب النفوذ فى سوق وكالة البلح الشهير . . وعند تجار الموبيليا هو السمسار والوسيط وصاحب الكلمة .. وعند جميع البيوت هو « البعبع » الرهيب ، تهدد الأمهات أطفالهن به ، وتحتمى به الزوجات من قوة أزواجهن .. ويلجأ إليه الأزواج لترضية الزوجات أو تطليقهن .. وإذا اعترض أحد العقلاء على خضوع الجميع لفريد قالوا — فى خوف شديد — « اللى ملوش كبير بيشترى له كبير » .. « واللى له ظهر ما ينضربش على بطنه » وفريد هو كبير الحتة .. وظهر الجميع .. وحامى حمى الأهالى فى مواجهة كل عدوان أو غدر من أحد . ولا يقبل أن يخونه أحد ، ويرفض أن يرفض أحد أوامره ، ويقول عن نفسه : أنا قاضى الحته ومأمورها وبرلمانها . أنا الكل فى الكل .

– بعض المسئولين فى البلد يخافونه ، ولا يجرؤون على وقفه عند حدوده . . لأنه صاحب الفضل الأول فى نجاحهم وجمع الأصوات لهم فى الانتخابات . . وقد صاروا يحمونه من بطش القانون . . وزاد نفوذ فريد .. وزادت مضايقاته ورفع هو سعر حمايته للتجار والشطار والأهالى ، وصار يجمع أموالا كثيرة . ويفرض مرتبات ضخمة ، لنفسه ويجبر الجميع على دفعها له فورا عند طلبه وبدون طلبه.. وكثر أعوانه وصبيانه وصاروا يزعجون الأهالى بطلباتهم ومطارداتهم للبنات والزوجات ، وإذا تعرض لهم أحد ، أسرع فريد لإنقاذهم وهدد كل من يضايق صبيانه بالويل والتشريد والطرد من الحى كله .

– فى هذا الجو الإرهابى ، تمرد بعض الشبان وبعض الآباء وبعض الأمهات وبعض الأطفال .. ورفضوا الخضوع لسلطان فريد وبطشه فكان جزاؤهم الضرب والإهانة علنا .. فقد علق فريد أحد معارضيه فى سوق الخضار .. علقه من قدميه وبصق عليه وترك صبيانه يضربونه حتى سالت دماؤه . . وحدث مرة أن بصقت عليه امرأة تسبب فى تطليقها لأنها رفضت أن تعطيه نفسها ، فضربها علنا أمام الجميع وأجبرها هى وأمها وأباها على الفرار من شبرا .

– لكن جوده .. الطالب الجامعى ، وبطل الجامعة فى

المصارعة .. رفض الخضوع .. ورغم خوف أبيه وأمه وأخوته وتحذيرهم له ، إلا أنه قرر أن يتحدى فريد .. وأن يجبره على أبعاد أذاه عن الناس .

ـ حاول جوده أن يقنع بعض أصحابه من شباب الجامعة والعمال والتجار وغيرهم ،لكي يقفوا معه فى وجه فريد وصبيانه ورفض بعضهم .. ووافق بعضم .. و ..

حدثت مواجهة بين فريد وجوده .. عندما ذهب فريد إلى سوق الوكالة ليجمع مرتبة عنوة من التجار . . ورفض والد جوده أن يدفع .. فصفعه فريد وأمر صبيانه بضربه فجروه على الأرض من ساقيه ومسحوا به أرض الشارع . . ثم أحرقوا دكانه بعد أن نهبوا بضاعته ..

ـ ثار جوده .. وأسرع إلى دار فريد .. واقتحم حصنه.. وجذبه من وسط صبيانه ونسائه وأصحاب قعدة الحشيش . . وذهل الجميع لجرأة جوده .. وقالوا : « أنه سيقتل أكيد ».. ولكن جوده لم يتردد .. صمم على أن يؤدب فريد . .

ـ لكن صبيان فريد أسرعوا إلى جوده وأوقعوه أرضا وشلوا حركته وطلبوا منه أن يقبل حذاء فريد ..

ـ لكن جوده تمكن من الافلات منه بذكائه وسرعة

حركاته و .. فجأة تذكر الجميع أنه بطل مصارعه ، عندما رأوه وهو يضرب صبيان فريد ، ثم يستدير لفريد ليشتبك معه فى عراك رهيب .. وسط ذهول الجميع ، ولأن جوده تمكن من ضرب فريد وإيقاعه على الأرض .. فقد تشجع بعض الحاضرين وشجعوا جوده .. وحاول بعضهم أن يضرب فريد وصبيانه لكن أعوان فريد ، والخائفين من انتقامه ، أسرعوا إلى مساعدته ضد جوده ..

– وجذبت المعركة أنظار الكبار .. الذين أسرعوا مهللين مشجعين ، أو مذهولين .. لأنهم رأوا فريد يقع على الأرض لأول مرة ورأى جوده ، يتجرأ ، ويضربه بعنف و ...

– كانت ديدى .. حسناء الحى كله . إحدى المتفرجات على المعركة فزغردت بأنوثة عندما تمكن جوده من ضرب فريد بحركة كاراتيه مفاجئة . . وصاحت بصوتها الناعم المثير تشجع جوده .. وتدعوه لتأديب فريد ..

– خاف الآباء والأمهات على جوده .. وأسرعت أم ديدى تحاول إدخالها البيت ، مالنا احنا ومال الشر . إنتى نسيتى اللى عمله فريد فينا . ده جاب لأبوكى عاهة مستديمة . . وخلاه قاعد فى الدار متكسح ، لكن ديدى تخلصت من يد أمها وأسرعت إلى جوده تحاول أن تساعده ..

ـ كان جوده ينحنى على فريد .. ينهضه لكى يكمل ضربه عندما فتح أحد أعوان فريد ، مطوه « قرن غزال » وغرسها فى ظهر جوده .. فأسال دمه .. وصرخ الجميع فى خوف .

ـ صرخت دبدى .. واحتضنت جوده .. وأخذته بسرعه إلى دارها القريبة .. وسط ذهول الجميع .

ـ نهض فريد بكبرياء .. ونظر إلى الجميع باحتقار :: فاصفرت وجوههم .. وتوقعوا الانتقام السريع .. بينما مد فريد يده إلى صبيه وخبطه على كتفه وقال : برافو عليك .. بس قرن الغزال مش كفاية .. خد أدى فرفر .. وخلص على الواد الجربوع هو وعيلته واحد واحد .. بسرعة ..

ـ أخذ صبى فريد المسدس ودخل بيت ليقتل جوده فصرخت النسوه والأطفال وزاد خوف بعض الرجال ..

ـ لكن عاجلت صبى فريد بيد « الهون » الحديد :: وأسالت دمه وأخذت مسدسه .. وأجبرته على الذهاب إلى سيده فريد زاحفا على يديه وقدميه .. وسط تهليل الصغار وضحكات الكبار ..

ـ نظر فريد إلى ريرى .. إلى جسمها المثير وشعرها الطويل وعينيها المتحدية .. وحاول أن يفهم : كيف تحولت هذه المرأة

التى أسالت لعابه ولعاب كل الرجال ، إلى وحش هائج ..لاتخاف منه ولاترمش لها عين أمام جبروته .

- ثم نادى فريد على أحد صبيانه ، وقال له : هات لى طليقها .. بسرعه ..

- انطلق الصبى مسرعا ، وعاد يجر سلامه من ثيابه ودفعه عند قدمى فريد ..

- كان سلامه يرتعش .. خوفاً من فريد ..وهو يردد بذعر : أنا مليش دعوه بيها يافريد بيه .. أنا طلقتها من زمان .. مليش دعوه بيها ..

- لكن فريد ضربه بحذائه وأمره : فز قوم يامره :

- نهض سلامهمذعورا شاحبا.. فقال له فريد : أنا حارجعك لمراتك ، ودى الوقت لازم تردها حالا .

- فرح سلامه .. فهو يريد منذ عام أن يصالح ريرى وأن يعيدها زوجة له ، لينتقم منها بعد أن استولت على كل ماله وثروته وتجارته ، وأجبرته على تطليقها .. وذلك بخدعه ماكره ؛ فهى تزوجت سلامه الذى أحبها وظل يطاردها بحبه وهى طالبه بالاعدادية ثم عندما دخلت مدرسة التجارة وقبل حصولها على الدبلوم .. تمكن سلامه من إقناع والدها وأمها بسرعة الزواج منها لأنه حصل على عقد عمل فى بيروت و ::

— فعلا سافرت ريرى مع سلامه إلى لبنان حيث وعدها بالمال والجنه والهناء مدى الحياة .. ثم فوجئت به يجبرها على العمل راقصة فى الكباريهات ومصاحبة السكارى ، فرفضت أول الأمر فقال لها : « وتقدرى تحافظى على شرفك مهما حصل » .. ورفضت فضربها وهددها بالذبح ورميها فى البحر والجبل : فقبلت وصارت أشهر راقصة كباريهات ونجمة تشعل خيال كل السكارى .. وتحول اسمها من « دولت » إلى ديدى .. وانشغل سلامه بجمع المال من ورائها ، واشتغل تاجر سيارات بمال زوجته .

ولكن ديدى تمكنت من إقناعه بتحويل أمواله وتجارته ومحله باسمها ثم عادت إلى مصر وطلبت الطلاق .. ورفض سلامه.. ولكن ديدى لجأت إلى فريد الذى طمع فى جسدها فوعدته بكل شىء وعندئذ أمر فريد باحضار سلامه وأجبره على تطليق ديدى فورا ففعل .

— وعندئذ ضحكة ديدى ورفضت أن تعطى فريد أى شىء.. فقط عرضت عليه مايريد من مال .. أجرا له على خدمته أما جسدها فرفضت تماماً . كما رفضت عرض فريد بالزواج منها لأنها كانت تحب جوده .. فى صمت .

— كانت ديدى تحب جوده — فهما جيران . والدها تاجر فاكهه ، ووالده تاجر ملابس قديمه ومستورده بالوكاله وأمها

وأمه بلديات من الريف .. وديدى وجوده كانا يذاكران معا .. ويلعبان معا .. ثم حصلت هي على مجموع قليل فدخلت التجارة ودخل هو ثانوى عام ثم الجامعة .. وبينما هي تباع فى صفقة زواج لسلامه أمام ضغط أمها وأبيها ، كان جوده يحتمل فى صمت لأن ظروفه لاتسمح بالزواج حاليا .

— فوجيء سلامة بقرار فريد ، وفرح لأنه سيعيد ديدى إلى عصمته وينتقم منها ويسترد أمواله ، ويودع أيام الافلاس والجوع والعار .. فقبل يدى فريد . وقال :

— أعيش العمر خدامك يافريد بيه .. لو رجعت لى ديدى

— وأحضر فريد مأذون الحى . . وأمر رجاله فحملوا والد ديدى وأمها إلى مجلسه .. وأوقفهم إلى جوار سلامة أمام الناس جميعا ، وأصدر أوامره : بنتكم دولت حترجع لجوزها سلامه حالا . قلتم إيه ؟ . .

— اصفر والد ديدى «الكسيح » .. وذعرت أمها .. وقالت : بنتى حرة فى رأيها .. هي مش عيلة صغيرة ..

— لكنها أحد صبيان فريدفى جانبهافصمتت تتأوه وتولول : « يا ناس الحقونا .. رحمتك يا رب .. »

— أخذ والد ديدى — الكسيح — يردد فى ذعر : « اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا .. »

– وصاح سلامه في فرح وتوسل : « يا فريد بيه . . خليهم يجيبوها هنا .. أنا عاوز مراتي يا ناس . . هو الجواز حرام . دى مراتى .. ياللا يا شيخ مأذون ..

– وأمر فريد باحضار ديدى .. فذهب إليها صبيانه الأشداء وحملوها رغما عنها إلى مجلسه .. لكنها رفضت الرجوع إلى سلامه.. وأصرت على تحدى فريد .

– ضربها صبيانه .. وخاصة الصبي الذى سبق أن ضربته هي.. صفعها وجذب شعرها بجنون .. فصرخت : « يا ناس اتحركوا.. مفيش راجل فيكم » .. لكن الصبيان ظلوا يضربونها .

– فتحركت الشهامة – أخيرا – في نفوس بعض الواقفين من رجال وسيدات وأطفال واشتبكوا مع صبيان فريد في معركة.. وحاولوا إنقاذ ديدى : «التي حكت مأساتها مع سلامه في بيروت» وجعلت الجميع يضربون سلامه أيضا ...

– صاح فريد فيهم : كفايه يا غجر .. أنا حاربيكم كلكم . .

– واشتعلت الحرائق في المحلات ..وخطفت بعض النساء وبعض الأولاد .. وجاء الآباء والأمهات إلى فريد يقبلون يديه ويرجونه لإعادة المخطوفين ومنع صبيانه من حرق بقية المحلات والبيوت ..

– فريد طلب فديه عشرة آلاف جنيه للمخطوفين . . وأتاوة مائة ألف جنيه من أصحاب المحلات ..

– وسخط الناس على جوده وعلى ديدى وعلى سلامه وباتوا لياليهم فى هم وحزن وهم يجمعون النقود المطلوبة ..

– لكن جوده – الذى نقله بعض أصحابه إلى المستشفى ومعهم ديدى أصر على أن يعود لتحدى فريد وتأديبه.. وحاول أن يستعين بأعضاء مجلس الشعب وبالشرطة . . لكن فريد ظل طليقا ينشر الفساد فى الحى هو وصبيانه .. ثم خطف فريد ورجاله أخت جوده أثناء عودتها من المدرسة الثانوية ، وجن جنون جوده واجتمع مع أصحابه من شباب الحى ، ومعهم ديدى التى وضعت كل أموالها تحت تصرف جوده وأصحابه .. واتفقوا على خطة هى : بعضهم يذهب إلى الصحف ليفضحوا جرائم فريد وعصابته . . وبعضهم ذهب إلى مجلس الشعب ليواجه أعضاءه عن شبرا ويحثهم على مساعدة الأهالى ورجال الأمن ..

– وبعضهم ذهب إلى وزارة الداخلية ليطلبوا الحماية وردع فريد وعصابته .. فقيل لهم : « سنقوم بالتحريات و .. »

– وجوده مع ديدى وبعض أصحابه يبحثون فى كل مكان عن المخطوفين . . وتمكنوا من استعادة بعضهم . . لكن بعضهم ما زال مخطوفا . .

– فشل جوده وديدى وأصحابه فى العثور على المكان الذى يختفى فيه فريد وعصابته ، أخت جوده وغيرها من بقية المخطوفين..

– ذهبت ديدى إلى زوجة فريد وحاولت أن تجعلها تساعدهم .. لكن زوجة فريد كانت تخشى بطشه فهو يعاملها بعنف . . وتزوج عليها عدة مرات ويضربها بالكرباج إذا اعترضت أو تمردت عليه . . لكنها – كأم وكزوجة مغلوبة وتريد الانتقام من زوجها الذى تزوج عليها – تبوح لديدى بعناوين بعض مخابىء فريد ..

– جودة مع ديدى وبعض أصحابه ، يذهبون إلى هذه المخابىء . . ويفتشونها واحدا بعد الآخر ويفاجأون بوجود الكثير جداً من المهربات والمخدرات والبضائع والسيارات المسروقة وبعض المخطوفين من الكبار والصبية الصغار .

– ويحضر البوليس لعمل اللازم ..

– لكن فريد وأغلب عصابته مازال هاربا . . ويشعل الحرائق ويخطف ويسرق ، ويهدد أعضاء مجلس الشعب الذين طالبوه بتسليم نفسه عندما زارهم فجأة فى بيوتهم وهددهم . . ثم هرب قبل حضور البوليس ..

– جودة وديدى يتمكنون من العثور على المخبأ الذى أخفى فيه فريد أخت جودة وبعض البنات والأولاد . . فى جوف مقبرة قديمة بمنطقة سقاره . . ويخلصون الرهائن ثم ينتظرونه هناك . .

– كانت فاتن – أخت جودة – مشوهة من التعذيب الذى نزله بها فريد وعصابته .. وكان المخطوفون معها مشوهين أيضاً من التعذيب ..

– وجاء فريد وبعض أعوانه ، فى منتصف الليل وفوجئوا بجودة وديدى وبعض زملائهم ..

وتدور معركة حامية ، يتمكن جودة خلالها من ضرب فريد حتى تمكن منه وربطه على مقعد وأخذ يعذبه كما عذب فريد أخت جودة – فاتن – كما أخذت ديدى تعذبه لتنتقم منه – بينما تمكن أصحاب جودة من تكتيف أعوان فريد وضبط ما معهم من مهربات ..

– استمر بحث البوليس عن فريد وأعوانه ..

– وجودة يرفض تسليمه ، ويرفض البوح عن مكان المخبأ .. ويعود كل ليلة هو وديدى ليواصلوا تعذيب فريد بكل ألوان التعذيب .. كما فعل بهما وبأهالى الحى كله ..

– فريد ينهار ويطلب الرحمة أو تسليمه للبوليس ..

جودة وديدى يرفضان تركه ، ويصران على أن يعيد فريد كل ما أخذه من أهالى الحى .. ويجبرانه على كتابة شيكات

بأسماء الذين سرقهم .. كما يجبرانه على الكشف عن مخابىء أمواله ويستردونها ، مع كشف موقع منه بأسماء الذين سرقهم ليعيدوا إلى كل واحد فيهم حقه فى المال ..

ويواصل جودة وديدى تعـذيب فريد بوحشية . . إنهما يتحولان إلى جلادين .. مخيفين .. فيرفضان وساطة أصحابهما لتسليم المجرم للبوليس لمحاكمته ويصران — بوحشية — على مواصلة تعذيبه . . لأنه اغتصب فاتن أخت جودة . . وسبق له أن اغتصب ديدى وهى فى أولى اعدادى — كما تروى فى فلاش رهيب —

— فريد يغمى عليه من التعذيب .. فيفيق جودة وديدى ويضمدان جراحه حتى يظن أنهما سيفرجان عنه ، ثم يفاجئانه بالمزيد من التعذيب الوحشى .. ثم ينطلقان فى الصحراء ومعهما المسدسات ومدفع رشاش .. كنوع آخر من المتمردين !

« تمت »

رقم الايداع بدار الكتب ٣٨١٣ /
الترقيم الدولى ٧ ـ ٠٥٩ ـ ١٧٢ ـ ٩٧٧

دار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص.ب ٥٨ (الدواوين) ـ تليفون : ٢٢٠٧٩